

إيفغيني بونيموفيتش

مولنبيك. طرس¹

زمنُ الخبزِ وزمنُ الوباءِ
قصائدٌ ومدافعٌ للحربِ كما للسلامِ
زمنُ المشاهدِ الريفيةِ ترشحُ بالقشدةِ
زمنُ ضواحي الكدحِ العماليةِ
وأحياءِ المركزِ الساخنةِ
وتفاوتاتِ اللغاتِ البابليةِ

على قارعةِ الطريقِ
البلاطُ ما زال رطباً
نخمنُ آثارَ حُطَى
يهودِ هاربيينَ من "البوغرومس"²
إيطاليينَ لاهئينَ وراءَ الحظِّ
ومغربياتٍ بالغاتِ الجديّةِ

أشجارُ الدُّلبِ المُعمّرةِ
سجّيناتُ سقّفٍ من حجرٍ
مريضاتٌ يتذكّرنَ
على قيدِ الحياةِ
ما زلنَ

معاملٌ مهجورةٌ
صارت شققاً بانخةً في الحاضرِ
أناسٌ بلا مأوى
مدرسةٌ للرّقصِ المعاصرِ

عصورٌ ورياحٌ في أسماءِ الأزقةِ
قربةِ حليبٍ على العتبةِ
أوقعها الزمنُ

وردةِ الرياحِ الشماليةِ الشرقيةِ
أو الجنوبيةِ الغربيةِ
وردةِ الأزمنةِ
مولنبيكِ الطرسِ

¹ رقّ ممسوح ثم مكتوب عليه ثانية
² كلمة من أصل روسي تعني الاعتداءات التي تعرض لها اليهود في روسيا على أيدي السكان المسيحيين

نجلس طويلاً بهذا المقهى قرب النافذة
نشرب الشاي بالنعناع ذي الحلاوة الزائدة
الشاي الذي لا ينفد
فيما الوقت المطير العاصف يسيل
على الزجاج الذاكرة الطريق
وعلى وجوه الناس

الجدّ يتحدث لغته

الأب يتحدث لغته
واللغة الفرنسية

أنت تتحدث الفرنسية والفلمندية
وأحياناً تحدث الجدّ بلغته

ابنك يتحدث الانجليزية والفرنسية والفلمندية
وقليلاً من الألمانية على ما أعتقد

ابنك لا يفهم لغة الجدّ الأجنبية
ابنك يعيش على الضفة الأخرى

الشمس بدون تأشيرة جاوزت حدود الأفق
المطر يجوب المدينة بدون أوراقٍ
وبدون رخصةٍ ينمو العشب
الهواء الذي تختلّسه الرئتان ليس مضموناً

الحياة غير شرعية

كتلميذ قبل موعد الامتحان
أستظهر وأردّد
الجغرافية البسيطة للطرق
مربعات النوافذ
مكعبات ومتوازيات سطوح
الأحياء العمالية

في السوق
قبة الجرس عمودية الخطوط
وهو ما كان يستوجب البرهنة

وراء مسطرة القناة
مخمّس زوايا بروكسل
الحياة على الضفتين دونما تقاطع
إنها بديهية المتوازيين
تلك التي لا تحتاج إلى برهان
بل إلى فهم

البنّت عند النافذة
مُحرَجَةٌ تتوارى خلف الستار
الطفل يصدمني بمحفظته وهو يجري
يلتفت
النادل البطين
يغادر متكاسلاً الكونتوار
يُحضّر الشاي

شهودُ عيان

كلبٌ مبلّلٌ مشدودٌ إلى زمام
امرأة مبلّلةٌ تمسك بالزمام
امرأة بوشاح أسود داخل الصيدلية
صبيٌّ داخل عربة أطفال
رسامٌ خلف زجاج ورشته
سيّاح في حافلة

فوق قرب وراء

متشرّد نائم بملتقى الطرق
أبصرَ حذائي
غرابان على أنبوب صدئ
أبصرا مطريتي المكسورة
عجرية أبصرت كفي
وما حوته جيوبي
الشرطة تبصر كلّ شيء

حياتي
حجة دائمة

أخدود السكك
يفرّق أكثر من كلّ اللغات والآلهة

يقطع الطريقَ السماءَ الصخبَ المشهدَ الروائحَ
مولنبكَ القديمة والجديدة شرقاً وغرباً

وحده الاسم واحدٌ لدى الكلِّ وحالةُ الطقس
وممراتُ المشاة الطويلة شرايين أو أنابيب

مولنبك.. توقفٌ في منتصف الطريق أنتِ
خروجٌ من أجل لحظةٍ لا تنتهي
هنا بيتك وحنينك
لكن لماذا يأتي الآخرون
إليك؟

الترجمة عن الفرنسية: طه عدنان